

النشاط الثقافي في الوطن العربي

لبنان

بروتوكول مع الكتاب السوفيات

في الرابع والعشرين من حزيران ١٩٧٤ ، عقد في موسكو بين اتحاد الكتاب اللبنانيين واتحاد الكتاب السوفيات بروتوكول ثقافي للتعاون بين الاتحادين عامي ١٩٧٤ - ١٩٧٥ . وقد وقع البروتوكول في العاصمة السوفياتية كل من امين عام اتحاد الكتاب اللبنانيين الدكتور سهيل ادريس ونائب رئيس اتحاد الكتاب السوفيات السيد فيديرنكو . وقد حضر حفلة التوقيع الاستاذان حبيب صادق امين سر اتحاد الكتاب اللبنانيين وحسين مروة عضو هيئة الاتحاد التنفيذية ، كما حضره من الجانب السوفياتي السيد كمال ياشين النائب الثاني لاتحاد الكتاب السوفيات وعدد من اعضاء هيئته التنفيذية .

وتنص خطة التعاون بين الاتحادين على ايجاد ممثلين من الادباء اللبنانيين والسوفيات الى بيروت وموسكو في مناسبات مختلفة لالقاء المحاضرات وعقد الندوات والتشاور في وسائل التعاون وترجمة الآثار السوفياتية الى اللغة العربية وترجمة الآثار اللبنانية الى اللغات السوفياتية وتبادل النشر في البلدين واعداد دراسات عن اداب كل من البلدين لنشرها في مجلات البلد الاخر وتطوير التعاون بين هيئات تحرير المجلات الادبية وتبادل المنشورات الجديدة والاقتراحات المتعلقة بترجمة المواد الادبية التي تهم الطرفين . كما ينص البروتوكول ان تقوم رئاستا الاتحادين بتنظيم لقاءات في العاصمتين كل عامين لتبادل الاراء حول نتائج التعاون وقرارات البروتوكولات الجديدة .

وقد القى السيد فيديرنكو في حفلة التوقيع كلمة وصف فيها اللقاء بأنه حدث ادبي في تاريخ العلاقات بين الكتاب السوفيات واللبنانيين وعبر عن امله في ان يزداد التعاون ويتعمق مع الايام .

والقى امين عام اتحاد الكتاب اللبنانيين الدكتور سهيل ادريس الكلمة التالية :

ايها الاصدقاء

انا اليوم حين نوقع رسميا خطة التعاون الثقافي بين اتحادينا لا نفعل الا ان نكرس علاقة وثيقة قامت بين الادباء السوفيات والادباء اللبنانيين منذ خمسة عشر عاما على الاقل ، اي منذ قيام اتحاد الكتاب الافريقيين الاسيويين .

انها اذن علاقة قديمة يسمدنا اليوم ان نجددها بنوع من التنظيم ليس من شأنه الا ان يعزز صلات التعاون بين اتحادينا ويزيدنا شعورا بالمسؤولية تجاه تامين اواصر الصداقة بين الشعبين السوفياتي واللبناني، هذه الصداقة التي ينبغي ان تجتد كل طاقانا للحفاظ عليها وتعميقها لصالح شعبينا، ولصالح الحرية والتقدم والسلام .

ان لبنان بلد صغير ، واللبنانيون لا يتجاوزون الملايين الثلاثة ، ولكنه شعب طموح يريد ان يلعب دوره في تكوين مجتمع عربي سليم متقدم يكون للثقافة والادب والفن فيه دور بارز . واتحاد الكتاب اللبنانيين الذي لم يبلغ بعد العام السادس من عمره اصبح اليوم علامة بارزة في الحياة الثقافية ليس في لبنان وحده ، بل في العالم العربي كله ، كما يبذله من الوان النشاط على مستوى العلاقات الادبية مع سائر الاتحادات العربية والاجنبية ، ولما يسهم به اعضاؤه من انتاج ادبي هام يتسم بنزعات التحرر والتنمية وتعميق الثقافة الوطنية الاصيلية . ويقوم هذا النتاج اجمالا في وجه الوان من الكتابات

يمارسها عدد محدود من الكتاب اللبنانيين الذين لا يلتزمون مبدأ ولا يسعون الى غاية ، وقد يفسرون بعثيتهم وابتعادهم عن تصوير هومو الشعب الحقيقية كثيرا من جوانب الحياة الادبية في لبنان . اما اعضاء اتحادنا ، فيصدرون في كل ما ينتجون عن رؤية حقيقية لوانع الشعب اللبناني والشعوب العربية الاخرى ، ويقومون بدور فعال في خلق ثقافة وطنية تعالج مشكلات المجتمع بروح من المسؤولية والوعي ، من غير ان نضحى اطلاقا بالطلبات الفنية في صياغة اثر الادبي .

ولا بد لنا ، ايها الاصدقاء ، من ان نشير هنا اشارة خاصة الى الدور الذي يقوم به اتحادنا في معركة الحريات ، ولا سيما الفكرية منها ، التي تخوضها اليوم الشعوب العربية من اجل حياة افضل . وفي هذه المرحلة بالذات من تاريخنا الوطني ، نشهد بلاننا هجمة امبريالية ورجعية جديدة تستهدف فيما تستهدف التصديق على حرية الفكر والتعبير ان لم يكن هناك سبيل الى قمعها . ويعرض اتحادنا على القيام برسائنه في الدفاع عن حرية الفكرين اللبنانيين والعرب وشجب محاولات الاعتداء على حرياتهم بالاضطهاد او المنع ، حتى اصبح اتحادنا الصوت الادبي المدوي في العالم العربي كله دفاعا عن حرية التعبير وكرامة الادباء .

لسنا هنا ، ايها الاصدقاء ، لننتحدث عن اعمال اتحادنا وانجازاته، وانما اشرنا هذه الاشارات السريعة لكي نؤكد لكم ان خطة التعاون، هذه التي نوقعها اليوم بين اتحادكم واتحادنا ، من شأنها ان تزيدنا ايمانا برسالتنا ونعزز حسنا بالمسؤولية وتقوي مواقفنا الفكرية ومبادئنا الصلبة في خدمة الحرية والتقدم والبناء الوطني الحضاري .

ولعل اهم ما تتضمنه خطتنا هذه التي نامل تجديدها كل عامين السعي الى المزيد من تعريف ادب كل بلد الى قراء البلد الاخر بترجمة الآثار الادبية وتبادلها . ان هذا يسهم الى حد كبير في التعرف الى هومو الشعبين واخلافهما وعاداتهما ويزيد صداقتهما قوة وثوقا ، ففسلا عما يتيجحه لادبائنا اللبنانيين خاصة من الاطلاع اوسع على آداب الكتاب السوفيات وربما الافادة مما حققوه من اساليب التطور والتقنية في الاعمال الادبية .

انا لسعداء حقا ، ايها الاصدقاء ، لوقيع هذه الخطة مع اتحادكم الكبير العريق الذي اقام علاقات وثيقة مع كثير من الاتحادات الادبية في انحاء العالم ، وهو في ذلك يقوم بدور هام في تامين العلاقات الادبية التي هي مقدمة ضرورية لتامين علاقات الشعوب فيما بينها . لتكن خطتنا هذه اذن خطوة صغيرة اولى تكرر علاقتنا الثقافية القديمة وتدفع الى خطوات اخرى واسعة على درب الصداقة والتعاون بين ادباء لبنان وادباء الاتحاد السوفياتي ، وبين الشعبين اللبناني والسوفياتي .

ج.م.ع.

رساله القاهرة من سامي خشبة

البحث عن حقيقة التاريخ العربي ، والفلسفة العلمية

هذا موضوع عمره نصف قرن بالتقريب ، او ثمانية واربعون عاما بالتحديد ، ولكنه لن يكف عن التجدد حتى ينتم العقل العلمي في بلادنا انتصاره الاكيد . لقد طرح هذا الموضوع بصورة مباشرة ، لأول مرة في كتاب طه حسين المشهور الذي لم يعد يعرفه على وجه اليقين احد

من الجليلين السابقين : « في الشعر الجاهلي » ، رغم ان طرحه في ذلك الكتاب جاء مبتورا وناقصا ، او ان الرائد الراحل العظيم ، ظن ان ما قد يصعب عليه ان يطره من باب التاريخ والفلسفة ، قد سهل ان يلج من باب الادب والشعر ، ولكنه منهجه ذاته فرض عليه ان يوارب باب التاريخ والفلسفة ، دون ان يفتحه ، فلما فتح باب الادب انهال عليه احجار الراجميين الفريسيين الجهلة فاجبروا الرجل على اغلاق ما فتحه وما واربه ، والاختفاء وراء استار كثيفة من حيل المثقف المستشير المنفرد والاعزل في مجتمع يحكمه ظلام الجهل والتهمر والعناد القبيح .

قال طه حسين : « نعم ! يجب حين نستقبل البحث عن الادب العربي وتاريخه ان ننسى قوميتنا وكل مشخصاتها ، وان ننسى ديننا وكل ما يتصل به ، وان ننسى ما يضاد هذه القومية وما يضاد هذا الدين ، يجب الانقياد بشيء ولا ندعن لشيء الا منهج البحث العلمي الصحيح . ذلك اننا اذا لسنا ننسى قوميتنا وديننا وما يتصل بهما فسندطر الى المحاباة وارضاء العواطف ، وسنفل عفولنا بما يلائم هذه القومية وهذا الدين . وهل فعل القدماء غير هذا ؟ كان القدماء عربا يتعصبون للعرب ، او كانوا عجماء يتعصبون على العرب ، فلم يبرأ علمهم من الفساد ... ولو ان القدماء استطاعوا ان يفرقوا بين عقولهم وقلوبهم ، وان يتناولوا العلم على نحو ما يتناوله الحدوثون لا يتأثرون في ذلك بقومية ولا عصبية ولا دين ولا ما يتصل بهذا كله من الاهواء ، لتروا لنا ادبا غير الادب الذي نجده بين ايدينا ، ولاراحونا من هذا العناء الذي نتكلفه الان ... فلندع لوم القدماء على ما تأثروا به في حياتهم العلمية مما افسد عليهم العلم . ولنجتهد في الاثارة كما تأثروا وفي الانفسد العلم كما افسدوه » (١) .

الموضوع القديم المتجدد اذن ، هو موضوع اعادة تقييم ونقد التاريخ العربي بأسره ، وتاريخ الثقافة العربية بالذات ، لمحاولة اكتشاف حقيقتها . وكانت قضية طه حسين بالغة البساطة ، بالغة الموضوعية ، رغم انه لم يطررها على نحوها الصحيح اعني انه لم يطررها من باب التاريخ والفلسفة الذي اكتفى بمواربته ، وانما اسرع الى باب الادب دون ان يقيم منهجه على الاسس الكاملة المفترضة (ولو فعل ذلك ثم تراجع او اجبر على السكون كما حدث ، لكان اكتمال المنهج في ذاته دافعا الى توليد مدرسة كاملة لم يظهر لها سلف واحد حتى الان من العرب) .

كانت قضية طه حسين انه ليس من العقول ان يكون الشعر الذي ينسب الى العرب الجاهليين صحيحا في نسبته اليهم . وكانت حجته الاولى على ما ينسب من شعر الى آدم ونوح واسماعيل هو ان هؤلاء لم يكونوا قد عرفوا اللغة العربية (بله موازين شعرها وعروضه) لان اللغة العربية التي قيل بهما هذا الشعر والتي نعرفها لسم تكن قد وجدت بعد . وكانت حجته الثانية قائمة على ان انتحال الشعر لاسباب دينية وسياسية وشعبية وقصصية ولغوية صار منذ صدر الاسلام والدولة الاموية تجارة رائجة مطلوبة . وكانت فرضيته الاساسية التي اهاجت عليه الدنيا ، هي ان القرآن ، وليس الشعر الجاهلي هو مرآة الحياة الجاهلية ، لانه اول نص لغوي موثوق بصحته كل الثقة ، يصلنا كاملا من هذا العصر ، باللغة التي كان من المؤكد ان اهله يتخاطبون ويتفاهمون بها .

ولسنا قادرين هنا ، في هذه الكلمة ، على ان نلم بأطراف « الثوره المضادة » التي احدثها كتاب طه حسين ، وليست هذه هي المهمة التي نريدها هنا على اية حال . انما تهمننا تلك « الهوجة »

(١) طه حسين ، في الشعر الجاهلي ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٩٢٦ . (ص ١٢ و ١٣ و ١٤) .

المائلة التي اثارها ثلاثة كتب صدرت في العامين الاخيرين ، تدور كلها حول نفس الموضوع ، وتتبنى نفس القضية : قضية اعادة تقييم ونقد التاريخ العربي وتاريخ الثقافة العربية بالذات ، لمحاولة اكتشاف حقيقتها ، من اجل ان يؤمن العرب بحقائق عن انفسهم وليس باوهام ، حقائق يكتشفونها بانفسهم وعليهم ان يناقشوها وان يستوعبونها دون عدا ولا بغض ، بدلا من ان تظل قناعاتهم عن انفسهم فائمة على اوهام هشة ، ما ان يواجهوا بعض المعلومات التي تناقضها حتى يكون عليهم ان يختاروا بين طريقين : اما تصور ان « بعض المعلومات » هي العلم فيتكروا لحقيقتهم ويضربوا في كل ارض بحثا عن هوية ثقافية يلبسونها (غالبا ما تكون جانبيا مهترنا من الثقافات الغربية الراسمالية) واما ان يصوروا ان ايمانهم بانفسهم يقتضيهم رفض كل معلومات تناقض مع هذا الايمان فيرفضوا بالتالي « العلم » ذاته مكفين بايمان العجائز الذي لم يعد يصلح (ان كان قد صلح في اي زمان) ولم يعد قادرا على تغذية وجدان امة تريد حقا ان تكتشف هويتها وان تعرف بالتحديد مكانتها في هذا العالم ونوع الحضارة والثقافة اللتين عليها ان شيدهما لنفسها وتشارك بهما في حياة الانسانية العقلية والروحانية العريضة .

الكتب الثلاثة هي : « المعتزلة ، ومشكلة الحرية الانسانية » الذي الفه محمد عمارة ، وصدر في اكتوبر عام ١٩٧٢ عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت ، ثم « اليهين واليسار فسي الاسلام » الذي الفه احمد عباس صالح وصدر عن الناشر نفسه في يناير ١٩٧٣ ، ثم « الحركات السرية في الاسلام » ، تأليف الدكتور محمود اسماعيل وصدر عن دار القلم في بيروت ايضا في اغسطس ١٩٧٣ .

يطرح محمد عمارة قضية في مقدمته بوضوح (سبقه اليه طه حسين ، ولم يفنه شيئا ، فالقوم الذين عدوهم « العلم » ، الا يعادون وضوح العلماء ؟) :

يقول : « واهمية هذا البحث الذي نقدم له الان ، تتعلق نطاق الاتصاف لهؤلاء الاسلاف ، وابرار مباحثهم حول هذه القضية ، الى مشاكل عصرنا الحاضر وانساننا العربي المسلم ... لا من زاوية ايجاد صلات وانساب بين المذهب الذي نبتغيه في الحرية وملعب هؤلاء الاسلاف الذين فالوا بالاختيار وانتصروا لحرية الانسان ... ولا من زاوية زيادة ارصدة امتنا من العزة والمجد .. وانما .. من زاوية شديدة الاهمية .. » . والزاوية التي يؤكد المؤلف على اهميتها هي زاوية الدراسة الضرورية لما كان من صراع بين افكار « الجبر » وافكار « الاختيار » ، لا في حياة العرب والمسلمين وحدهم وانما في حياة شعوب المنطقة كلها منذ اقدم العصور حتى الان ، على اساس ان هذه الدراسة ستقدم مفتاحا من اهم مفاتيح فهم « الشخصية القومية » حتى الان ، وعلى اساس ان التاريخ يقول بان السيادة دائما كانت لافكار الجبر على افكار الاختيار ، وبالتالي فالاحتياج اشد الى القاء الضوء على فكر مدرسة الاختيار وبلورته واثارة الجدل حول مكانه في عقل امتنا وسلوكها من اجل : « ازالة ما في شخصية امتنا من عيوب وسلبيات ، وتأكيد ما فيها من ايجابيات ، وتنفيذ هذه الايجابيات .. » .

ويقرر احمد عباس صالح قضية كتابه ، رغم وضوح عنوانه ، في غير وضوح . يقول في المقدمة : « حيث ان اساس البحث هو انتظور الاجتماعي لا التطور الديني . ولهذا سوف يبدأ البحث بالمجتمع العربي الجاهلي في مكة اساسا ، ثم في بلدان الجزيرة العربية الاخرى ، وعوامل الصراع المختلفة بين طبقات هذا المجتمع على اساس اقتصادي وفكري في نفس الوقت . ولذلك يهمنا جدا الوصول الى تصوير حقيقي للمجتمع الجاهلي في مكة رغم ان النصوص التي تناولت هذه الحقيقة نادرة جدا . فالعموة الاسلامية لم تكن مجرد نحلة من النحل ، ولم تكن دعوة لنيل الاصنام والاتجاه

الى النوحيد فقط ، بل هي الى جانب هذا ثورة اجتماعية توفرت لها كل اسباب الثورة ...»

وبعينا الدكتور محمود اسماعيل الى الوضوح الكامل في تحديده لتفهية كتابه في مقدمه بقوله : « .. وقد حاولت ان اتمس في التاريخ الاسلامي نماذج وصورا لنمط السياسي السري اندي اخذت به فسوى المعارضة في الاسلام لمواجهة تسلط الحكومات التيوقراطية - اموية وعباسية - التي عدلت عن الحق وحادت عن جادة الشريعة ، واستهدفت تيرير مشروعية هذا الاسلوب النضالي على اساس نبل الفاية وسمو الهدف من ناحية ، وضراوة القيم المتسلطة في قمع الثورات الجماهيرية المطالبة بعدالة الاسلام من ناحية اخرى ولم يكن اثبات ذلك بالامر الهين ... لذلك فالصورة الراسخة في اذهاننا عن قوى المعارضة - كاخوارج والشيعية - حزبي اليسار - والمعتزلة والمرجئة - حزبي الوسط - ان صح اقتباس مصطلحات العصر - صورة شوهاء زائفة تمثل وجهة نظر « اليمين » او هي التاريخ الرسمي « الذي وضعته المؤرخه للملوك » على حد قول ابن عربي ..»

من السهل ان نتبين اسباب ثورة اصحاب « الهوجة » التي لا ستحق ان توصف باكثر من هذا الوصف حما . وهي « هوجة » رغم ان شطريها الاساسيين (ونيرانهما موجهة الى احمد عباس صالح في مجلة « الثقافة ») والى محمود اسماعيل في جريدة « الاخبار » يمثلان في مجلة تصدرها وزارة الثقافة ، وفي جريدة من الجرائد المصرية المملوكة للشعب ، والذي يتيح حوار الافكار بحرية ودون بذاءة ما يكتب في « الثقافة » ودون الاسراع الى الفاء التهم الجزافية التي كتبت في « الاخبار » .

ما يكتب في « الثقافة » مدهش حقا من زاوية حرصه لا على نفي اي احتمال لصحة التفسير المادي للتاريخ (او حتى لاحتوائه على قدر من الصحة !) وانما هو يدعش من زاوية حرصه على نفي اي احمال لعدم انسانية المجتمع العربي الجاهلي قبل الاسلام . نحن لا نحرص على الدفاع عن المادة التاريخية (خصوصا اذا كانت سيئة التطبيق كما في كتاب « اليمين واليسار في الاسلام ») ضد اتهامات من نوع : « تليفات كارل ماركس التي قامت على اساسها دول عظمى » او : « بندلي جوزي وسادته في روسيا الشيوعية » .. الخ .. الخ . فالمادية التاريخية لم تستطع فقط ان تتجاوز - باللامبالاة - مثل هذه البذاءات التي لا تنتمي لطبيعة الحوار الفكري ، وانما استطاعت ان ترغم خصوصها الكبار ، المفكرين حقا على ان يضموها في حسابهم دائما . لم يعد هناك علم لاي مجال من مجالات المجتمع الانساني وتطوره ، دون ان يضع المادية التاريخية في حساب رصيده المنهجي اذا شاء هذا العلم ان يعامل باي مستوى من مستويات الجدية . نحن لا نحرص اذن على هذا الدفاع ، وانما يهنا ان نقف عند منهج طرح القضية ذاتها ، قضية اعادة التقييم النقدي للتاريخ العربي واكتشافه بهدف معرفته وتحويل الايمان به الى مستوى الايمان بالحقائق - قدر الامكان - وتجنب الايمان بالاهام قدر الامكان ايضا . ولكن لنلق نظرة على ما كتب عن محمود اسماعيل .

وليس فيما كتب عن « الحركات السرية في الاسلام » ما يدعش بالفعل . فمن الطبيعي ان يدعس اناس من نوع « المؤرخة الذين يكتبون للملوك » من ان يكتشف المسلمون والعرب ان في تراثهم شيئا حقيقيا اسمه « حركات سرية » ، وان هذه الحركات كانت تعمل على اقامة العدل والحق استنادا الى ما جاء به الدين الحنيف نفسه واجتهادا في تفسيره اهتداء بروح هذا الدين حسبما يراه الفقهاء المتزمتون بصالح الناس لا بصالح السلطان . من الطبيعي ان يدعس هؤلاء اذا ما خامت الناس هذه الفكرة ، بينما كان المعتاد كما قال محمود

اسماعيل في كتابه ان توجه الشتائم وانواع السباب الى هؤلاء الثوار ، من خوارج وشيعية وزنج وقرامطة ومعتزلة ومرجئة ، وان يصلبوا ويحرقوا او تحرق كتبهم وتباد آثارهم من الارض .. حرصا على وحدة الجماعة والامة تحت كرسي السلطان وتحت نعليه اذا امكن .

رغم كل هذا ، فاننا لا نريد ان ندخل في هذه الكلمة القصيرة في دووب هذه المناقشة التي لم نستطع حتى ان نلخصها تلخيصا وافيا (والحق ان المناقشة صفة غير صحيحة ، فالنهمون لم يردوا الانهام . هل بوسعهم ان يردوه ؟ واذا كان بوسعهم ، هل يردوا البذاءة ام يجيبوا على التهم الباطلة بمرافعات الدفاع الرصينة ؟) . انما نريد ان نطرح مجموعة من الملاحظات حول منهج طرح القضية ، منذ كتاب « في الشعر الجاهلي » الى كتاب « الحركات السرية في الاسلام » ، وخاصة فيما يتعلق بتاريخ العرب قبل الاسلام .

ورغم اعترافنا بالصعوبات التي يذكرها محمود اسماعيل في مقدمة كتابه والتي تعرض طريق كل باحث في تاريخ الفرق المتمردة على الدولة ، بسبب ابداء الوثائق والسجلات والاثار ، وبسبب اكسوام التزييف التي صنعها المؤرخون الرسميون ليدغموا التمردين بكل صفة خيثة ويدينوهم بكل فعل قبيح ، رغم هذا فاننا نعتقد ان الحصول على المادة المعرفية المتعلقة بتاريخ العرب قبل الاسلام ، مشكلة اشر صعوبة ، رغم ان الحصول على هذه المادة (من وثائق وسجلات واثار ونقوش) يهدف المعرفة الموضوعية لذلك التاريخ تمثل مطلبا اساسيا واحتياجا ملحا من احتياجات معرفة هذه الامة لذاتها معرفة موضوعية ، ومعرفتها بانذات لتكوينها الثقافي وارتباطاته ومصادره معرفة قد تكون صادمة صدمة الافافة من حالة اختناق طويل .

لم تحاول الكتابات « العربية » ان تستفيد من كشوف علماء الاثر والنقوش والتاريخيات « السامية » ، منذ عودة الدكتور ادورد جلازر من داخل الجزيرة العربية عام ١٨٩٠ (حسب ما قاله ديتلف نيلسن في مقدمة كتاب : التاريخ العربي القديم . من تأليفه مع آخرين . ترجمة الدكتور فؤاد حسين علي - نشر وزارة التربية والتعليم . القاهرة عام ١٩٥٨) حاملا معه كنوزا جديدة من نقوش وصور مخطوطات عربية قديمة (عربية الانتساب لا اللفة) من اليمن وحضرموت ومعين ، ومن الحجاز غربا وبلدان الخليج شرقا ، ومن بادية الشام شمالا) ومنذ الكشوف البابلية الكبرى في عشرينات هذا القرن وثلاثيناته . ان دراسة هذه النقوش جديدة بان تحسم اشياء اساسية :

● علاقة الثقافة العربية ، قبل الاسلام مباشرة (العصر الجاهلي) وبعده ، بالثقافات السامية المجاورة في العجبة وفلسطين والعراق وسوريا ولبنان وسيناء .

● علاقة اللغة العربية ، ومفرداتها الاساسية في تكوين تصوراتها الروحية والميتافيزيقية ، باللغات السامية وابحائها في نفس المناطق عبر اكثر من الفين من السنين .

● علاقة اجزاء اساسية من الثقافة الاسلامية (لا علاقة لها بصلب العقيدة الدينية في الواقع) بالبقايا الضرورية من ثقافات الشعوب السامية (وغير السامية بالطبع) التي عاشت قبل الاسلام . هذه البقايا التي لعبت ادوارا هامة في تشكيل الصورة المحلية القومية لبلدان كبيرة من بلدان الثقافة الاسلامية (مثل فارس وتركيا وباكستان وشمال الهند) ، ولعبت في اقطار الوطن العربي نفس الدور كليا وان لم تؤد الى نفس النتيجة الكيفية ، بمعنى التساؤل : لماذا ادت هذه البقايا الى التمايز القومي في بلدان اسلامية ، بينما ادت الى التلاحم القومي في بلدان اخرى .

● علاقة الدين الاسلامي نفسه ، بصياغاته العقائدية المختلفة ، والاديان المحلية الاخرى ، بالثقافة الاسلامية ككل ، وحقيقة الدور

الذي لعبه تراث الشعوب السامية في صياغة هذه الثقافة ، وحقيقة الدور الذي لعبه تراث الشعوب الهندو - اوروبية في صياغتها (اقصد الهنود واليونانيين) .

ربما لم تكن هذه هي كل القضايا التي يمكن ان تحسها دراسة التاريخ العربي قبل الاسلام على ضوء كشوف محددة ، لا فطنة فيها الا للتخمين العلمي ، ولا مجال فيها للتفكير في احتمال ان آدم او نوح هما قائلان ما نسب اليهما من شعر عربي فصيح موزون مقفى ، ولا مجال فيها للتفكير في كيفية اكتساب اسماعيل فجأة لغة اسيانية الجند ، ونسيانه كل شيء عن لغة ابائه العبرانيين ، ولا مجال فيها للتفكير في امكان (او استحالة) نسبة ما نسب لامرء التيس من شعر عربي فصيح وهو الذي كتبت على قبره كلمات بلغة ابعد ما تكون عن العربية ، رغم « عربية » حروفها .

واعتقد ان البدء في دراسة تاريخنا استنادا الى هذه البقايا اليقينية ، والابتعاد - ولو مؤقتا - عن الاعتماد على ما قاله المؤرخون والرواة المسلمون من الوافدي وابن سعد حتى الالوسي ، مورا بالمشايخ الكبار ، من امثال الطبري والمسعودي ، اعتقد ان هذه البداية يمكن ان تكون ذات فائدة « علمانية » اكثر بكثير من الفائدة « العلية » التي تفكر فيها من زاوية السياسة قبل ان تفكر في من زاوية العلم .

ان معرفة « حقائق » التاريخ اكثر فائدة من اعادة تفسير خليط الحقائق والادغام على ضوء الفلسفة العلمية . ففي هذا التفسير يسهل ان تسقط الفلسفة العلمية في نفس الشراك التي وقع فيها طه حسين ، وتجنبنا الجبرتي بتواضع شديد : « هذه امور لا تسعها عقول امثالنا » . ذلك ان معرفة حقائق التاريخ ، ومعرفة حقائق اية ظاهرة في كون المادة والحركة هذا ، هي المقدمة المنطقية الضرورية ، والتي لا غنى عنها لبناء فلسفة علمية مرتبطة بواقع هذه الحقائق وحركتها، فيمكن بالتالي ان يتبين فيها الناس جنور حقيقتهم .. حاضرهم والقائم نفسه .

المغرب

بيان من اتحاد كتاب المغرب

جاءنا من اتحاد كتاب المغرب (المكتب المركزي) البيان التالي :
ازاء شيوع بعض المفاهيم والآراء المحرفة لمفهوم الثقافة في المغرب والدور الذي يجب ان تضطلع به . وامام الحملات التي تباشرها بعض المنابر شبه الفكرية على المعنى الحقيقي للثقافة في بلادنا وعلى المثقفين المتأصلين . وبالنظر للدور التزييفي الذي تمارسه هذه الآراء على عقلية الجماهير وسلوكها وتطلعاتها . وحرصا منا نحن اتحاد كتاب المغرب ، الجمعية التي تستنطق الاصوات الثقافية والمبدعة في اتجاه وطني نضالي ، على ضرورة التصدي لهذه الافكار التي تعمل هداما في كيان ثقافتنا الوطنية وطموحاتها السياسية والاجتماعية ، راينا من اللازم ان نسجل في هذا الظرف الدقيق والخاص الذي تمر به بلادنا ، الايضاحات التالية :

1 - ان الثقافة تعبير فكري عن الصراعات الاجتماعية ، وهي لذلك تعكس ما يجري يوميا على صعيد حياتنا في مختلف مظاهرها، وتبلور جملة العلاقات الانتاجية والطبقية السائدة ، مقدمة صورة مختلفة عن درجات الوعي والمسئولية ، وهي بذلك تتبع من مجموع الممارسات الفكرية والحياتية لشعب من الشعوب ونفصح عن تطلعاته ونوقه الدائب لتطور وتجدد مستمرين يزيجان من طريقه اسباب الحجر والجمود .

والثقافة بهذا المعنى ترتبط جذريا بالصراع العام الذي يجري في الحياة الاجتماعية والسياسية، وتعتبر من اشد الاسلحة مضاء وحدة، وهي لذلك لا يمكن ان تقف في حيدة عما يجري حولها من احداث ووقائع ، كما لا يمكنها ان تنسحب من الساحة الوطنية لتفسح المجال لعناصر الهدم والتخريب بل انها تنخرط ضمن الصراع الطبقي الذي تخوضه الجماهير المسحوقة متصدية للاعمال والافكار المعوقة للتغيير .

2 - ومن ثم فان قضية الثقافة في بلادنا ينبغي الحديث عنها انطلاقا من الفهم السابق ، الذي يضعنا وجها لوجه مع القوى المتسلطة بفصائلها الاقطاعية والبورجوازية المتواطئة التي تعمل بما تملك من اجهزة للاعلام والدعاية والنشر على الزج بمواطنينا في مآهات التجويل وحشر ادبهم بالافكار المخدرة والمجهضة لكل طموح في الانتعاش والتحرور .

3 - وبما ان الثقافة السائدة في مجتمع طبقي هي ثقافة الطبقة المسيطرة فهي لذلك تحاول ان تثبت ان ثقافتها هي ثقافة المجتمع كله . ان هذا الواقع يضعنا في مجابهة فكرية مع الثقافة السلطوية ويحثنا على ان نصدى انطلاقا من اختياراتنا النضالية لمعاقل الفكر الرجعي ومضامينه الاقطاعية البرجوازية المهيمنة على حياتنا الثقافية والاجتماعية والتي تضرب اهدافنا الرامية الى تحقيق مجتمع ديموقراطي متحرر من جميع اشكال القمع والاستغلال .

4 - في مواجهة هذا المد التخريفي ، فان ثقافتنا ينبغي ان تكون سلاحا للتغيير يستهدف تاسيس قيم ثقافية تقدمية واداة للتوعية السياسية والاجتماعية سيما في مجتمع كمجتمعتنا تسوده العلاقات الاستقلالية .

وان الكتاب والمثقفين التقدميين في المغرب للزمون اكثر من اي وقت مضى ، ان يقيموا صرح ثقافة وطنية حرة وجديدة تستفيد من الينابيع الثرة والحية في تراثنا وحضارتنا القومية وتنظم بروافد الفكر الانساني التحرري مبلورة القيم الثقافية والاجتماعية الاصيلة التي تنبض بها جماهير الكادحين والمسحوقين في اتجاه يذيب الحدود الفاصلة بين المثقفين والجماهير ويقضي على الفكر التخويوي ويقود الى التحرر الشامل لشعبنا وثقافتنا .

وان مجابهتنا وحركتنا هذه لن تكون متصلة وراسخة الا اذا استبعتت من طريقها كل نزعة عفوية واتخذت لها الممارسة العملية المخططة علميا قاعدة للارتكاز وسندا للانطلاق .

ونحن نردك بعد هذا ان الحصار المصروب على الثقافة والقمع الذي يتعرض له الفكر في المغرب لا يمكن مواجهتهما الا بوضع القضية في سياقها السياسي والاجتماعي ، وذلك بربط الكلمة بالممارسة النضالية .

(الرباط)

صدر حديثا عن دار الطليعة

الصهيونية نظرية وممارسة

ترجمة

يوسف سلمان

تأليف مجموعة

من الكتاب السوفييت

من موضوعات هذا الكتاب : الجوهر الرجعي

لمفاهيم الصهيونية الفلسفية وعفانها الجامدة - الديانة اليهودية والصهيونية - الشرق الادنى في مخططات الامبريالية والصهيونية - التصور العنصري للصهيونية المعاصرة - الامبريالية الاميركية والمراكز الصهيونية في الولايات المتحدة - الحركة الشيوعية العالمية في نضالها ضد الصهيونية والاسامية .